افتتاحية

الاستشراق .. الأمس واليوم والغد

"الاستشراق" مصطلح في طياته علاقة جدلية بين الغرب والشرق ، فهو بقدر ما يحمل من اعجاب الغرب الأوروبي بحضارة وتاريخ وثقافات الشرق ، فهو في ذات الوقت يرتبط بأطماع واحلام وتطلعات هؤلاء القادمين من أوروبا لأرض الشرق ، ومع تلك الاطماع وذلك الأعجاب فهو حركة فنية وثيقة تاريخية محايدة أحياناً ، أو منصفة أحياناً ولكنها أحياناً أخرى (في الغالب الأعم) منحازة لرؤى مسبقة وأفكار خارجية لا ترتبط بأرض الشرق وثقافة مجتمعاته . إن علاقة الغرب والشرق كانت سابقاً في التاريخ القديم والوسيط ، واستمرت لاحقاً في التاريخ الحديث وحتى المعاصر ، تقوم على قوى الجذب والشد على الكر والفر ... ولا يمكننا حصر تلك الحركة الاستشراقية في عموميتها وما أفرزته من أدبيات وأعمال فنية وتصويرية ومعمارية ببلد أوروبي بعينه ، ولكنها حركة مثلت حالة من الجدلية بين حضارتين ، وحراك جدلي يعتمد الحوار والصراع بين ثقافتين وزمانين ..

وكانت مصر وعاصمتها القاهرة هي كلمة السر في هذه العلاقة وذلك الحراك، مما جعلها منذ القرن الثامن عشر مسرحاً لحالة من المد الاستشراقي الاستعماري الأوروبي، والتنافس الغربي المحموم في الشرق، وفي المقابل نمو الوعي الوطني والحركات الشعبية والقومية والمحلية أحياناً. أثرت الحركة الاستشراقية على الصورة العمرانية والمعمارية للقاهرة ومصر واستمرت بمستويات متفاوتة حتى الحاضر، من خلال توجيه المعرفة الغربية للشرق والتي تشكلت نتيجة لأعمال المستشرقين من الأدباء والمؤرخين والعلماء والمعماريين والفنانين والرسامين والمصورين الذين عمدوا إلى تتبع أحوال مصر ولاسيما القاهرة ورصد ثقافة سكانها وأحوالهم وصورة العمارة والعمران ، مما مثل أحد المراجع الوثائقية عن القرن التاسع عشر ، وكذلك كانت الممارسات المعمارية والعمرانية في القرن العشرين واحتكار المعماريون الأوروبيون وشركات التنمية العقارية في المناطق الحضرية و مناطق النمو العمراني المستحدثة ، والتي اتجه بعضها نحو التغريب بدعوى الحداثة بينما اتجه البعض الآخر نحو محاكاة العمارة المصرية ، من وجهة نظرهم الاستشراقية ، المحايدة أحياناً والمتحيزة غالباً.

كرست تلك الممارسات وغيرها، استمرارية الاستشراق في مجال العمارة والعمران على المستوى الفكري والمهني والمجتمعي وافراز حالة مماثلة من التغريب متجذرة عند بعض المصريين هي الوجه الآخر للاستشراق، تتجلى في أعمال لمصريين ولكنها بعيون وعقول أوروبية.

ويفتح هذا العدد من جريدة مركز طارق والي العمارة والتراث باب الحوار حول الاستشراق والمستشرقين فيما يتعلق بالعمارة وال عمران في مصر، حول الفكرة والموقف، التاريخ والحاضر والمستقبل، التفاعلات والتأثيرات والمنتجات المعمارية والعمرانية، وغيرها....

فالقاهرة كانت ولا تزال مفتاح الدخول إلى الشرق والخروج منه ، عندها دائما يتقاطع الشرق والغرب ..

إما في موائمة .. فيكون الحوار

أو في تناحر .. فيصبح الصراع

وفى الحالتين تبقى لمصر الكلمة الاخيرة في هذه الجدلية بحكم الجغرافيا والتاريخ ، وبفعل الحضارة والمسئولية الإقليمية ، حالة عامة عاشها الشرق وأدركها الغرب .

طارق والي

فبراير 2022